

منهج الطاهر بن عاشور في تأويل كلمة آية في التحرير والتنوير (دراسة تحليلية)

Tahir ibn Ashur's Approach in Interpreting the Term "Āyah" in Al-Tahrir wa Al-Tanwir (An Analytical Study)

د.علي أحمد مثنى مثنى الخراي

أستاذ مساعد، قسم الدراسات الإسلامية وعلوم القرآن

كلية الضالع الجامعية، جامعة عدن

dr.alialmehrab@gmail.com

تاريخ القبول: 2026/1/28

تاريخ التسلم: 2026/1/4

الملخص:

يستهدف هذا البحث دراسة منهج الإمام الطاهر بن عاشور في تتبع كلمة (آية) في تفسيره (التحرير والتنوير)، وطرق تأويل أنواعها الثلاثة (المفرد والمثنى والجمع)، من خلال تحليل دلالات اللفظ وتصنيف استعمالاته بين الدلالة الشرعية والدلالة الكونية. وقد اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي لتحصيل مواضع اللفظ، والمنهج التحليلي لبيان المعاني، والمنهج المقارن عند الحاجة. واستفتح البحث بملخص ومقدمة، تشمل: أسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، وأهداف البحث، وأهميته، ومنهجه، وحدوده، وخطته. مستعرضاً فيه مفهوم كلمة آية والمعاني والأقسام. وكذا حياة الطاهر بن عاشور وسيرته العلمية والتعليمية والسمات الشخصية، واسم تفسيره ومنهجه فيه والأسس التي اعتمد عليها في تفسيره لكلمة آية بتنوع ألفاظها في السياق. وتوصل الباحث من خلال البحث إلى أنَّ الطاهر بن عاشور اعتمد على قواعد دلالية دقيقة تقوم على ربط اللفظ بسياقه، والتمييز بين أنماط الآية ومعانيها (المعجزة، العلامة، الحكم الشرعي)، وبنى منهجه على مقاصد السور، والتحليل البلاغي العميق، ما جعل تفسيره أحد أبرز النماذج المعاصرة، الجامع بين فني الرواية والدراية وحقائق العلم الحديث. كما أظهر البحث أن تفسير التحرير والتنوير قدّم فيه مؤلفه ثراءً علمياً كبيراً في تتبع الألفاظ القرآنية ومدلولاتها الشرعية والتكوينية، من خلال آيات الكتاب المسطور ودقائقه القرآنية، والكون المنظور وحقائقه العلمية.

ABSTRACT:

This study aims to examine Imam al-Tahir ibn Ashur's approach to tracing the word "ayah" in its three forms (singular, dual, and plural) in his Qur'anic exegesis al-Tahrir wa al-Tanwir. The research analyzes the semantic dimensions of the term and classifications of its usages between legal-religious meanings and universal-cosmic meanings. The study adopts the inductive approach to identify all occurrences of the term, the analytical approach to manifest the meanings, and the comparative approach when necessary.

Key Words: • Approach • Al-Tahir Ibn Ashur • Ayah • Al-Tahrir wa Al-Tanwir	The research begins with an abstract and introduction which covers the rationales for choosing the topic, previous studies, research objectives, significance, methodology, limitations, and structure. It also reviews the concept of the term “āyah”, its meanings, and its categories, as well as the life of Ibn ‘Āshūr—his scholarly and educational background, personal characteristics, the title of his exegesis, his methodological foundations, and the principles on which he based his interpretation of the term in its various contextual usages. The study concludes that Ibn ‘Āshūr employed precise semantic principles grounded in linking the term to its context and distinguishing between the types and meanings of āyah (miracle, indication, and legal ruling). His approach is built upon the objectives of the sūrahs and deep rhetorical analysis, making his exegesis one of the most distinguished modern works that integrates both transmitted and reasoned knowledge, along with insights from contemporary scientific understanding. The research further demonstrates that al-Tahrīr wa al-Tanwīr provides profound scholarly richness in tracing Qur’anic terms and their legislative and cosmic connotations—through the “written revelation” with its intricate Qur’anic nuances and the “observable universe” with its scientific realities.
--	---

مقدمة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، واختصه بأفضل كتاب مهيمن وناسخ لسائر الكتب، وأكرمه بأفضل نبيٍّ انتهت إليه خلاصات الرسائل كلها، صلوات ربي وسلامه عليه، أما بعد: فيُعَدّ الإمام محمد الطاهر بن عاشور أحد أبرز المفسرين المجددين في العصر الحديث، وقد مثل تفسيره التحرير والتنوير نموذجًا متقدمًا في معالجة الألفاظ القرآنية وتتبع دلالاتها، وفق منهج لغوي بلاغي مقاصدي رصين. ويأتي لفظ آية في مقدمة الألفاظ التي اعتنى بها ابن عاشور، بل تميّز من غيره من المفسرين السابقين في الرصد والتتبع لمدلول هذا اللفظ وتأويله، واستنباط معانيه وترجيح مدلولاته؛ لما يحمله من مركزية محورية في النص القرآني ودلالات الهداية والاستدلال والعبرة والإعجاز. وسلك هذا البحث دراسة منهجية في تتبع موارد هذا اللفظ في القرآن الكريم، والكشف عن القواعد التي اعتمد عليها في بيان المعنى، وإبراز القيمة العلمية الجُهد الكبير في تبيان مدلولات الألفاظ الشرعية والكونية، والذي خلق فيه حول دقائق التفسيرات الشرعية والمقاصدية في القرآن المسطور، وحقائق التأويلات الكونية والآفاقية في الكون المنظور، وفق رؤية عصرية حضارية ودراية علمية جامعة، مع

عدم العزوف عن علم الرواية التفسيرية الأصيلة ومنبعها الصافي. وذلك ما دفعني لاختيار هذا الموضوع لإيضاح منهجه المتفرد وسبر غُور تفسيره (التحرير والتنوير).

تبرز أهمية البحث في جوانب عدّة، أهمّها:

أولاً: إبراز جانب مهم من منهج ابن عاشور لم يُدرَس بصورة مستقلة من قبل، وإثراؤه بتتبع أعظم كلمة تضمّ وجوه الإعجاز في القرآن الكريم كُله في تفسيره.

ثانياً: تحليل موضوع الكلمة؛ كون الآيات الوارد اللفظ فيها محور العقيدة والدعوة في الرد على الطاعنين والمشككين بالقرآن الكريم.

ثالثاً: إثراء الدراسات القرآنية المعاصرة بمنهج تحليلي تطبيقي؛ لسهولة الرجوع لتأويلات الطاهر بن عاشور، والافتباس منه والاستزادة من علمه.

رابعاً: تقديم إضافة علمية للباحثين في مجال التفسير المقاصدي، وإبراز القيمة العلمية لتفسير التحرير والتنوير، وتوضيح ما اشتمل عليه من علوم متعدّدة.

منهج البحث:

اعتمد البحث في هذا البحث على الطرائق والمناهج الآتية:

1- المنهج الاستقرائي: بتتبع مواضع ورود كلمة آية في التحرير والتنوير وتكرارها في مواضع منه، واستخلاص معاني اللفظ وأنواعه بحسب الدلالة، بتحقيق اسم التحرير والتنوير ووصفه، وإبراز المنهج العام الذي سلكه فيه مؤلفه، في تأصيل الإعجاز وحقائق العلم الحديث.

2- المنهج التحليلي: بدراسة أقوال الطاهر بن عاشور واستنباط منهجه وطرق تأويلاته لأنواع اللفظ، والأسس الدلالية التي اعتمد عليها، وأسلوبه في تأويل الآيات الشرعية والكونية من تمييز المدلولات بتنوع ألفاظها في السياق.

3- المنهج المقارن: عقد مقارنة بين منهج الطاهر بن عاشور وبين غيره من المفسرين، وخاصة في مواضع الترجيح إن وجد الخلاف؛ ليتضح المراد ويتبين منهجه في التفسير.

كما التزمت في كتابة البحث بالمنهج الذي تسير عليه البحوث المماثلة مع الأخذ بعين الاعتبار ما تضمنته القواعد المنظمة للنشر ما استطعت.

حدود البحث:

تناول البحث الحدود الموضوعية في تتبع مدلول لفظ آية بأنواعه، المفرد والمثنى والجمع فقط، من دون بقية الألفاظ الأخرى، وكذا الحدود المكانية (أي مواضع ورود اللفظ من تفسير التحرير والتنوير)، والحدود المنهجية في تحليل اللفظ وتطبيقه بالتأويل والاستقراء والدلالة، ومن دون التوسّع والخوض في المسائل العقدية واللغوية كونها خارج إطار البحث.

الدراسات السابقة:

هناك بحوث ورسائل عدة تناولت منهج الطاهر بن عاشور، لكنّها حسب علمي لم يتطرّق باحث فيها إلى هذا الأسلوب التحليلي لتفسير التحرير والتنوير في تتبع لفظة أو كلمة قرآنية نورانية تعد مرتكز القرآن الكريم ومحوره الإعجازي، ونذكر أهم الرسائل المشابهة في علوم القرآن خاصة:

1- رسالة دكتوراه بعنوان: توجيه الطاهر بن عاشور للمتشابه اللفظي: دراسة تحليلية مقارنة، لخلدون سعود القرالة، من الجامعة الأردنية كانون الأول 2014م. وتلتقي مع بحثي في استقصاء الحدود المكانية للفظ. لكنّها تطرقت إلى جميع ألفاظ التشابه من حذف وذكر وتكرار وغيره، وأما بحثي فقد إختص بلفظ آية مفردًا ومثنًى وجمعًا، ومنهج الطاهر بن عاشور في تأويل مدلولاته الشرعية والكونية.

2- رسالة ماجستير بعنوان: آليات الاستنباط عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير لأرباح عطاسي الجامعة الجزائرية (1432هـ - 2011م). وهي في قسم اللغة وتعالج الاستنباطات النحوية والصرفية والضمائر وغيرها.. وبحثي في الدراسات الإسلامية.

3- رسالة ماجستير بعنوان: الإمام محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات في تفسيره التحرير والتنوير لمحمد بن سعد بن عبد الله القرني جامعة أم القرى السعودية لعام (1427هـ).

4- بحث بعنوان: منهج الإمام محمد الطاهر بن عاشور في القراءات في تفسيره التحرير والتنوير، لبسام رضوان عليان، مجلة الجامعة الإسلامية لعدد (545 - يونيو 2011م).

ويتميّز هذا البحث بأنه أول دراسة تجمع بين التتبّع التطبيقي والتحليل المنهجي لمدلول كلمة آية في التحرير والتنوير بأبعاده الشرعية والكونية.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة، وأربعة مباحث، وفي كل مبحث ثلاثة مطالب، وخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات، وقائمة المراجع العلمية، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: وتشمل: أسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، وأهداف البحث، وأهميته، ومنهجه، وحدوده، وخطته.

تقسيمات البحث:

المبحث الأول: الترجمة العلمية للإمام محمد الطاهر بن عاشور.

المطلب الأول: حياة الطاهر بن عاشور الاجتماعية:

المطلب الثاني: سيرة الطاهر بن عاشور العلمية والتعليمية.

المطلب الثالث: السمات الشخصية للطاهر بن عاشور.

المطلب الرابع: زواجه ووفاته.

المبحث الثاني: منهج الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير.

المطلب الأول: اسم التحرير والتنوير ووصفه.

المطلب الثاني: المنهج العام للطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير.

المطلب الثالث: منهج ابن عاشور في تأصيل الإعجاز وحقائق العلم الحديث في تفسيره.

المبحث الثالث: مفهوم كلمة آية ودلالاتها اللغوية والشرعية.

المطلب الأول: مفهوم كلمة آية.

المطلب الثاني: معاني كلمة آية وأقسامها بحسب الدلالة.

المطلب الثالث: مواضع ورود كلمة آية في القرآن الكريم.

المبحث الرابع: منهج الطاهر بن عاشور في تأويل كلمة آية في التحرير والتنوير.

المطلب الأول: الأسس الدلالية التي اعتمد عليها ابن عاشور في تفسير لفظ آية.

المطلب الثاني: منهج ابن عاشور في تأويل الآيات الشرعية والكونية من خلال لفظ آية.

المطلب الثالث: منهج ابن عاشور في تمييز مدلولات كلمة آية بتنوع ألفاظها في السياق.

المبحث الأول: الترجمة العلمية للإمام محمد الطاهر بن عاشور.

المطلب الأول: حياة الطاهر بن عاشور الاجتماعية:

أولاً: اسمه ولقبه: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي بن محمد بن محمد الشاذلي بن

عبد القادر بن محمد عاشور، ولقبه (الطاهر بن عاشور).

ثانيًا: مولده ونشأته: ولد الطاهر بن عاشور في إحدى الضواحي الشمالية للعاصمة التونسية، في منطقة تسمى (المرسى) في عام (١٢٩٦هـ) الموافق (١٨٧٩م). ونشأ في رحاب العلم والجاه، فقد خص منذ نشأته، بعناية فائقة من والده محمد (ت: ١٩٢٠م). ومن جده لأُمِّه العالم محمد العزيز بوعتور (ت: ١٩٠٧م)، وحفظ القرآن الكريم وهو في السادسة من عمره على يد الشيخ المقرئ محمد الخياري⁽¹⁾، ثم حفظ المتون الأولى، وتعلم اللغة الفرنسية، وأظهر همّة عالية في التحصيل العلمي.

المطلب الثاني: سيرة الطاهر بن عاشور العلمية والتعليمية:

التحق الطاهر ابن عاشور بجامع الزيتونة في سنة 1303هـ الموافق 1886م، وثابر في تعلّمه به حتى أحرز على شهادة التطويع سنة 1317هـ الموافق 1899م، وسُمّي عدلاً مبرزاً. أقبل على التدريس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية، ابتداءً من سنة 1900م، ثم عضواً مؤسساً للجنة إصلاح التعليم بجامع الزيتونة سنة 1910م. والتحق بالقضاء سنة 1911م، ثم مفتياً مالكيًا سنة 1923م، فكبير المفتين سنة 1924م. فشيخ الإسلام للمذهب المالكي سنة 1932م.

عُيّن شيخ جامع الزيتونة المَرَّة الأولى في سبتمبر سنة 1932م، وثانيةً في سنة 1945م. وفي سنة 1956م عميداً للكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين حتّى سنة 1960م.

شارك في إنشاء مجلة السعادة العظمى سنة 1952م، وهي أول مجلة تونسية، مع صديقه العلامة الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله (ت: 1377هـ). ونشر فيها وفي غيرها بحوثاً عدّة. ويعد أوّل من حاضر بالعربية بتونس في القرن الماضي، أما كتبه ومؤلفاته فقد وصلت إلى الأربعين، هي غاية في الدقّة العلميّة. وتدلّ على تبخّر الشيخ في شتّى العلوم الشرعية والأدب. ومن أجَلّها كتابه في التفسير (التحرير والتنوير) موضوع بحثنا. وكتابه الثمين والفريد من نوعه في (مقاصد الشريعة الإسلامية)، وكتابه (حاشية التنقيح للقراي)، و(أصول العلم الاجتماعي في الإسلام)، و(الوقف وآثاره في الإسلام)، ونقد علمي (لكتاب الإسلام وأصول الحكم لعلّي عبدالرزاق)، و(كشف المعطر في أحاديث الموطأ)، و(التوضيح والتصحيح في أصول الفقه)، و(موجز البلاغة)، وكتاب (الإنشاء والخطابة)، و(شرح ديوان بشار وديوان النابغة)... إلخ.⁽²⁾

المطلب الثالث: السمات الشخصية للطاهر بن عاشور.

تميّز الطاهر بن عاشور بصفات حميدة وأخلاق فاضلة جعلته في مصاف كبار العلماء، الذين كان لهم تأثير في مجتمعاتهم بعلمهم وأخلاقهم، وقد أجمع جميع معلميه وتلاميذه على شُمُوّ أخلاقه، وعراقة شخصيته، وكرمه

ونُبله؛ إذ هو شخصية مثابرة وطموحة، وصاحب همّة عالية، ويتمتع بوقار شخصيته، وقُوّة حافظته، وسرعة بديهته، وغزارة علمه، ولين جانبه، وعِفّة لسانه، وحُجّه للعلم والعلماء، وخدمة الدين والعقيدة، وأهم صفاته: الصبر؛ إذ ابتلي -رحمه الله- بأنواع البلايا، منها التجسّس والمتابعة من المستعمر وأذناؤه في حكم تونس، وتوالّت عليه المصائب، فصبر واحتسب، وابتلاه الله بمحادثتين: وفاة ابنه المناضل زين العابدين ابن عاشور، ثم وفاة ابنه العلامة البحر مفتي الجمهورية التونسية وعميد كلية الزيتونة للشريعة وأصول الدين الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور.⁽³⁾

المطلب الرابع: زواجه ووفاته: تزوج الشيخ الطاهر بن عاشور سليمة المجد والشرف ابنة نقيب الأشراف بتونس محمد محسن، وكان له ثلاثة بنين، هم العلامة البحر محمد الفاضل ابن عاشور، والسيدان الجليلان عبد الملك، وزين العابدين رحمهم الله، وبنّتان. وكانت وفاته -رحمه الله- في الثالث عشر من شهر رجب 1293 هـ الموافق الثاني عشر من أغسطس 1973 م.⁽⁴⁾

المبحث الثاني: منهج الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير.

المطلب الأول: اسم التحرير والتنوير ووصفه.

اسم تفسير الطاهر بن عاشور الأصلي الوارد في كتاباته وكذا في المكتبات ودور النشر وغيرها: (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد).

وصفه: التحرير والتنوير من أطول التفاسير وأكثرها أجزاءً، يقع في ثلاثين جزءاً، بعدد أجزاء مصحف القرآن الكريم وترتيب سوره، وفي صفحات يصل عددها إلى ضعف صفحاته وزيادة، أي ما يقارب مائتي وإحدى عشرة ألف صفحة، وأُخرج في طبعاّت عدّة، أهمّها: طبعة في أجزاء متفرقة نشرتها الدار التونسية للنشر، وطبعة في خمس مجلدات، وطبعة قديمة سنة 1384 هـ بمطبعة عيسى الباب الحلبي. والثلاث منشورة في المكتبة الشاملة الحديثة، وإصدار له في مؤسسة التاريخ ببيروت لبنان لعام 1420 هـ = 2000 م في ثلاثين جزءاً⁽⁵⁾، وهذه الطبعاّت المتعددة تدل على مدى إقبال العلماء وطلاب العلم على هذا التفسير؛ لما احتواه من علوم قرآنية خصوصاً.

أما عن بواعث تأليف الكتاب فيقول ابن عاشور في تمهيده لهذا التفسير: «كان أكبر أمنيّتي منذ زمن بعيد، تفسير الكتاب المجيد، الجامع لمصالح الدنيا والدين، وموثق شديد العرى من الحق المتين، والحاوي لكُلِّيات العلوم ومعاقدها استنباطها، والآخذ قوس البلاغة من محلّ نياطها، طمعاً في بيان نُكّت من العلم وكُلِّيات من

التشريع، وتفصيل من مكارم الأخلاق، كان يلوح أتمودج من جميعها في خلال تدبره، أو مطالعة كلام مفسره». (6)

المطلب الثاني: المنهج العام للطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير.

جمع الطاهر بن عاشور في تفسيره بين منهجين: منهج التفسير بالرواية، والتفسير بالدراية، كالآتي:

أولاً: منهج الطاهر بن عاشور في التفسير بالرواية.

كما ذكرنا آنفاً أن ترتيب تفسيره بترتيب المصحف، فابن عاشور كغالب المفسرين يتناول تفسير القرآن سورةً سورة حسب ترتيبها في المصحف الإمام، غير أنه قبل أن يشرع في تفسيرها جعل لكل سورة مقدمة، يذكر فيها اسم السورة، وسبب تسميتها بهذا الاسم، ثم ترتيبها في النزول، وأسباب نزولها على وجه الإجمال، أما نزول الآيات منها إن نزلت بسبب، فيتناول تفسيرها إجمالاً وتفصيلاً، ثم يذكر عدد آيات السورة، وما إذا كانت السورة مكية أو مدنية، مع الترجيح إن وُجد خلاف، وأخيراً أهم الأغراض التي تحتويها. وبعد ذلك يتناول تفسير كل آية أو أكثر ليس كطريقة تحريكية فحسب، وإنما يربط بين المناسبات، ويذكر التعليقات، حاشداً لكل آية ما يناسبها من المصادر، وأهمها: تفسير القرآن بالقرآن - التفسير بالحديث النبوي - التفسير بأقوال الصحابة - التفسير بأقوال التابعين - التفسير بأسباب النزول - التفسير بالقصص - التفسير بالناسخ والمنسوخ - التفسير بالقراءات - التفسير بأقوال من التوراة والإنجيل وهكذا. (7)

ثانياً: منهج الطاهر بن عاشور في التفسير بالدراية.

وضع ابن عاشور شروطاً لهذا النوع من التفسير وسار عليها، منتقداً من خالفها من المفسرين. ودعم رأيه بتفسير القرآن بالقرآن فيما يحمل بعض آياته على بعض، ثم بما صح من أحاديث وآثار، ثم راح بعد ذلك يكشف بعض أبعاد الآية وإيجاءات ألفاظها، مستغلاً خصائص العربية وإمكاناتها في هذا الكشف، من حيث تركيب المفردات وصياغة الجمل والفوارق الإعرابية، وما يمثل العرب في سننهم وكلامهم. وعزز آراءه التفسيرية بأقوال أئمة المذاهب الفقهية وأصحابهم، وأقوال الفلاسفة وأصحاب الدراسات البيانية، وآراء أصحاب العلوم الحديثة في بيان معنى الآية، أو ما يمكن أن يكون معناها، وفي استنباط الأحكام يستعين بكل قول من المذاهب الفقهية جميعاً فيما يناسب الآية، وإن كان مالكيًا فنصرته للمذهب المالكي لا تكاد تذكر. (8)

المطلب الثالث: منهج ابن عاشور في تأصيل الإعجاز وحقائق العلم الحديث في تفسيره.

تفرّد تفسير التحرير والتنوير، بأسلوب لغوي وإعجازي رصين؛ إذ جمع في دواخله بين آيات الكتاب المسطور وبينات الكون المنظور، بيد أن الجدير ذكره في منهج الطاهر بن عاشور رفضه مبدأ الصرفة قائلاً: إن هذا

الإعجاز كامناً في القرآن ذاته، معتمداً في بيان وجوه الإعجاز على الآيات الشرعية النقلية، وسياقات جملها القرآنية، وعلى الآيات الكونية العقلية ومدلولاتها في السموات والأرض ومحوياتهما، مدعماً قوله بالعلم الحديث واكتشافاته، وابن عاشور من هذه الناحية يمثل -بحق- الاتجاه العربي الأصيل في بيان الإعجاز القرآني، بعيداً عن الاتجاه الواقع تحت تأثير المنطق أو الفلسفة أو إخضاع الدليل القرآني للنظرية العلمية، بل عنده الحقيقة العلمية ما توافقت مع الحقيقة القرآنية كدقائق تتفق لا تتصادم، ولكن اللغة عنده، هي أبرز هذه العوامل؛ إذ أدت الدور الأمثل عند ابن عاشور في بيان الإعجاز، حيث وضع قيمة لكل من الحرف واللفظة والجملة، ليقوم بدوره في الأداء المعجز، والترجيحات التفسيرية والأدلة العقلية والنقلية، ولا ينفصل أي منها في إيجائه عن غيره من الدلالات، ومنه تأويله لمفهوم كلمة آية في سياقات القرآن الكريم محط دراستنا.

وقد استفتح تفسيره بكلام جميل يؤكد ما سردنا في منهجه العام والمتفرد عن أقرانه من المفسرين بقوله: «أقدمت على هذا المهم إقدام الشجاع على وادي السباع، متوسطاً في معترك أنظار الناظرين، وزائر بين ضباح الزائرين» فجعلت حقاً علي أن أبدأ في هذا التفسير للقرآن نكثاً لم أر من سبقني إليها، وأن أقف موقف الحكم بين طوائف المفسرين تارة لها وآونةً عليها، فإن الإقتصار على الحديث المعاد، تعطيل لفيض القرآن الذي ماله من نفاذ. وفي نهاية التمهيد يقول: «وقد ميزت ما يفتح الله لي من فهم في معاني كتابه، وما أجليته من المسائل العلمية، مما لا يذكره المفسرون، وإنما حسبي في ذلك عدم عثوري عليه فيما بين يدي من التفاسير في تلك الآية خاصة، ولست أدع [انفرادي به في نفس الأمر، فكم من كلام تنشئه تجذبك قد سبقك إليه متكلم، وكم من فهم تستظهره وقد تقدمك إليه متفهم]»⁽⁹⁾.

وختم تفسيره -رحمه الله- كما بدأه بالوصف بقوله: «تم تفسير «سورة الناس» وبه تم تفسير القرآن العظيم...». قد وقّيت بما نوّيت، وحقق الله ما ارتجيت، فجئت بما سمح به الجهد من بيان معاني القرآن ودقائق نظامه وخصائص بلاغته، مما اقتبس الذهن من أقوال الأئمة، واقتدح من زند لإنارة الفكر وإلهاب الهمة، وقد جئت بما أرجو أن أكون وفقت فيه للإبانة عن حقائق مغفول عنها، ودقائق ربما جلّت وجوهاً ولم تجلّ كُنْهاً، فإن هذا منال لا يبلغ العقل البشري إلى تمامه، ومن رام ذلك فقد رام والجوزاء دون مرامه.

ولمعرفة مدة تأليف التحرير والتنوير وتماه فقد قال ما نصّه: «وكان تمام هذا التفسير عصر يوم الجمعة الثاني عشر من شهر رجب عام ثمانين وثلاثمائة وألف. فكانت مدة تأليفه تسعاً وثلاثين سنة وستة أشهر. وهي حقبة لم تخل من أشغال صارفة، ومؤلفات أخرى أفناها وارفة، ومنازع بقريجة شاربة طوراً... وأرجو منه تعالى

لهذا التفسير أن ينجد ويعفور، وأن ينفع به الخاصة والجمهور، ويجعلني به من الذين يرجون تجارة لن تبور. وكان تمامه بمنزلي ببلد المرسى، شرقي مدينة تونس. وكتبه: محمد الطاهر ابن عاشور». (10)

المبحث الثالث: مفهوم كلمة آية ودلالاتها اللغوية والشرعية.

المطلب الأول: مفهوم كلمة آية.

أولاً: الآية لغة: هي العلامة، والأمانة والجماعة، والجمع آيات. (11)

ثانياً: اصطلاحاً: هي مقدار من القرآن مركب ولو تقديرًا أو إلحاقاً. فتقديرًا: كقوله: ﴿مُدَاهَمَتَانِ﴾ [الرحمن: 64]. إذ التقدير هما مدهامتان. وإلحاقاً: لإدخال بعض فواتح السور من الحروف المقطعة، فقد عُدَّ أكثرها في المصاحف آياتٍ ما عدا: (الر)، و(الم)، و(طس)، وذلك أمرٌ توقيفيٌّ وسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ (12).

ومن معاني لفظ (آية) المفرد: الرسالة والعبرة والمعجزة. وهي تربط بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للآية القرآنية، فتعني القرآن الكريم المعجز، كعلامة على صدق الرسول ﷺ الآتي بها، وكونها في معنى الجماعة؛ لأنها مؤلفة من الحروف، والكلمات، وتعني الدليل؛ لأنها برهان على ما تضمنته من هداية وعلم (13). ولتفصيل ما سبق، فإن كلمة (آية) بجميع ألفاظها حين ترد في السياقات المختلفة تظهر أن المعنى متعدّد أيضاً، وقد ذكرت معانيها الرئيسة في نقاطٍ في المبحث الثاني. وأمّا الرسالة والعبرة والمعجزة والجماعة فهي من المعاني الثانوية للفظ (آية)، التي ذكرت عند بعض المفسرين دونتها هنا ليتضح المقام.

المطلب الثاني: معاني كلمة آية وأقسامها بحسب الدلالة:

أولاً: معاني كلمة آية:

في معانيها أربعة أقوال: أحدها: آيات الكتاب التي تُتلى. والثاني: معجزات الأنبياء. والثالث: القرآن الكريم. والرابع: دلائل الله في مصنوعاته. (14)

ثانياً: أقسام كلمة آية بحسب الدلالة.

القسم الأول: الآيات الشرعية الدينية: وهي الوحي، الذي أنزله الله على رسله صلوات الله وسلامه عليهم، كالقرآن الكريم، والتوراة، والإنجيل مثلاً. (15)

مثال: قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [آل عمران: ٧٠]،

أي بصحة الآيات التي عندكم في كُتُبِكُمْ، كالتوراة والإنجيل عن قتادة والسُّدِّي. وقال مقاتل بن سليمان: نزلت يا أهل الكتاب لم تكفروا بآيات الله يعني القرآن وأنتم تشهدون أن محمداً رسول الله ونعنه معكم في التوراة. (16)

القسم الثاني: الآيات الكونية القدرية: وهي المخلوقات بأنواعها المختلفة التي تتضمن خلق الله وتقديره، ولكل منها معنى مخصوص، يفيد السياق، ويقتضيه المقام.⁽¹⁷⁾

﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ [طه: 133]، قال الطبري: قالوا، أي المشركين: فلْيَجِئْنَا محمد إن كان صادقاً في قوله، إنَّ الله بعثه رسولاً إلينا، وإن هذا الذي يتلوهُ علينا وحي من الله أوحاه إلينا، (بآية) يقول: بِحُجَّةٍ ودلالةٍ على حقيقة ما يقول ويدَّعي، كما جاءت به الرسل الأولون من قبله من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وكنافة صالح، وما أشبه ذلك من المعجزات التي لا يقدر عليها إلا الله ولا يأتي بها إلا الأنبياء والرسل.⁽¹⁸⁾

والتقسيم هنا التنوع، وقد يدل اللفظ في معناه على النوعين معاً، كما حكى ابن عجيبة⁽¹⁹⁾ في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ءَايَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا...﴾ [فصلت: ٤٠]، أي: يعملون عن الحق في أدلتنا التكوينية، فلا ينظرون فيها، أو: يلحدون في آياتنا التنزيلية، بالطعن فيها، وتحريفها.

المطلب الثالث: مواضع ورود كلمة آية في القرآن الكريم:

أولاً: العدد الإجمالي: ورد لفظ (آية) في القرآن الكريم في (382) اثنين وثمانين وثلاثمائة موضع.

ثانياً: الصيغة والعدد: ورد اللفظ في مواضعه كافة من القرآن الكريم بصيغة الاسم كالآتي:

أ- ورد اللفظ بصيغة المفرد (آية) في (66) ستة وستين موضعاً من القرآن الكريم. مثل قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦].

ب- ورد اللفظ بصيغة الجمع (آيات) في (260) ستين ومائتي موضع منفرداً. مثل قوله تعالى: ﴿كَذَٰبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۖ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ ۖ وَكُلُّ كَاثِرٍ ظَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٥٤].

ج- كُرِّر اللفظين مفرداً وجمعاً في (56) ستة وخمسين موضع من القرآن الكريم. مثل: قوله تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ ءَايَةٍ مِّن رَّبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الأنعام: ٤].

د- ورد اللفظ بصيغة المثنى (آيتين) في موضع واحد (1) فقط من القرآن الكريم. مثال قال تعالى: ﴿وَمَا

تَأْتِيهِمْ مِّنْ ءَايَةٍ مِّن رَّبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الأنعام: ٤].

المبحث الرابع: منهج الطاهر بن عاشور في تأويل كلمة آية في التحرير والتنوير.

المطلب الأول: الأسس الدلالية التي اعتمد عليها ابن عاشور في تفسير لفظ آية.

الأساس الأول: يقوم منهج ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير على أسلوب دلالي مركّب، يجمع بين الأصل اللغوي للفظ آية وبين السياق الخاص الذي يرد فيه ضمن بنية السورة.

الأساس الثاني: يقرّر ابن عاشور أن الأصل في معنى آية: العلامة والدليل الباهر الذي يظهر للمتلقى، وهذا الأصل هو الذي تتفرّع منه جميع الاستعمالات القرآنية للفظ، مفردًا ومثنىً وجمعًا.

الأساس الثالث: يؤكد ابن عاشور أن مجرّد العودة إلى القاموس لا يكفي في تفسير اللفظ القرآني، بل لا بدّ من تتبّع نظام الخطاب والغاية المقصودة بالسورة.

الأساس الرابع: يعتمد ابن عاشور على قاعدة مفادها أنّ الألفاظ القرآنية تنتقل بين مستويات الدلالة، لكنّها لا تخرج عن محورها الأصلي.

الأساس الخامس: يرى ابن عاشور أن لفظ آية يمكن أن يحمل معنى الدليل العقلي، أو الظاهرة الكونية، أو علامة المعجزة، أو الدليل التشريعي، بحسب السياق. أي إنّ الآية عنده مثلًا: قد تكون مظهرًا كونيًا عند الحديث عن خلق السماوات والأرض، وقد تكون برهانًا معجزًا عند ذكر قصص الأنبياء، وقد تكون حكمًا شرعيًا عند الحديث عن الأحكام والمعاملات. ويعود في كلّ موضع إلى معرفة نوعية المخاطبين، ومقصد الخطاب، والبعد البلاغي للجملة. مؤكّدًا أنّ القرآن يُعيّد توظيف اللفظ الواحد لأغراض متعدّدة.

الأساس السادس: يؤكّد ابن عاشور في منهجه أنّ التنوّع من أسرار البلاغة القرآنية، التي يجب مراعاتها قبل إصدار حكمٍ تفسيريٍّ أو عقديٍّ، وهذا ما لمسنّاه في تعقّبه لكثير من الألفاظ.

الأساس السابع: يشير ابن عاشور إلى أنّ دلالة الآية قد تتّسع داخل الموضوع الواحد، بحيث تحمل معنًى مركّبًا من الدلالة العقلية والوجدانية معًا، لا سيما حين يقصد القرآن الكريم تحريك الفطرة.

الأمثلة التطبيقية للأسس التي اعتمد عليها ابن عاشور من خلال تفسيره:

أولاً: قوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 37] هذا السياق فيه تكرار للفظ (آية المفرد).

قال الطاهر بن عاشور في تأويله⁽²⁰⁾: وبيان ذلك أن الله تعالى نصب الآيات دلائل مناسبة للغرض المستدل عليه كما يقول المنطقيون: إنّ المقدمات والنتيجة تدل عقلاً على المطلوب المستدلّ عليه، وإنّ النتيجة هي عين المطلوب في الواقع وإن كانت غيره في الاعتبار، فلذلك نجد القرآن يذكر الحجج على عظيم قدرة الله على خلق

الأمر العظيم، كإخراج الحي من الميت، والميت من الحي في سياق الاستدلال على وقوع البعث والحشر. وكذلك ذكر الدلائل على وحدانية الله باستقلاله بالخلق، كقوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: 101]، وكقوله في الاستدلال على انفراده بأنواع الهداية: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 97]، ولما جعله آية على صدق الرسول فيما أخبر به عن الله تعالى، فسمّاه آيات في قوله: ﴿وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ النَارِ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيُسَّ الصِّيرُ﴾ [الحج: 72]، فلم يشأ الله أن يجعل الدلائل على الأشياء من غير ما يناسبها. لما اقترحوه علامة على أن الله لم يصدق الرسول ﷺ في دعوى الرسالة. ومن أين لهم أن الله يرضى بالنزول معهم إلى هذا المجال...، حتى قال أي لا يعلمون ما وجه الارتباط بين دلالة الآية ومدلولها.

وبهذا السرد يظهر منهجه في عدم تجميد الدلالة، بل استنباط طبقاتها المتعددة عبر تحليل الخطاب. ثانيًا: تأكيد هذا القول يتجلى من خلال ردّه على المفسرين عند تأويله لختام سياق [الأنعام: 37] السابق: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بقوله: ومن المفسرين من جعل المعنى أنهم لا يعلمون أن إنزال الآية على وفق مقترحاتهم (الكافرين)، يعقبها الاستئصال إن لم يؤمنوا، وهم لعنادهم لا يؤمنون. إلا أن ما فسرته به أولى، لئلا يكون معناها إعادة لمعنى الآية التي سبقتها، وبه يندفع التوقف في وجه مطابقة الجواب لمقتضى السؤال حسبما توقف فيه التفتازاني في تقرير كلام الكشاف أ.هـ⁽²¹⁾.

ثالثًا: تحقيقه لمعنى اللفظ لغويًا بقوله: وإعادة لفظ آية بالتنكير في قوله تعالى: ﴿أَنْ يُزِيلَ ءَايَةً﴾ (22) من إعادة النكرة نكرة وهي عين الأولى. وهذا يبطل القاعدة المتداولة بين المعربين من أن اللفظ المنكر إذا أعيد في الكلام منكرًا كان الثاني غير الأول. وقد ذكرها ابن هشام في مغني اللبيب في الباب السادس⁽²³⁾ ونقضها أ.هـ. وهذا المنهج الاستنباطي والأسلوب القائم على الربط بين السياقات المتعددة يجعل تفسير ابن عاشور نموذجًا متقدمًا في فهم المعنى القرآني المركب ودلالاته التفسيرية أوضح مما عند غيره من المفسرين.

المطلب الثاني: منهج ابن عاشور في تأويل الآيات الشرعية والكونية من خلال لفظ آية.

أولاً: يقوم منهج الطاهر بن عاشور في تفسيره على التمييز العلمي الواضح بين الآيات الشرعية والآيات الكونية كضرورة استقرائية لحسن فهم بنية النص القرآني من خلال مدلولات الألفاظ.

ثانياً: الآيات الكونية عند الطاهر بن عاشور، هي دلائل القدرة الإلهية في الخلق، وهي موجّهة لكل الناس باعتبارها أدلةً حِسِّيَّةً وعَقْلِيَّةً على وجود الخالق ووحدانيته.

ثالثاً: يؤصل الطاهر بن عاشور مدلول كلمة آية في سياق الآيات الكونية للدلالة على التذكير بالخلق والبعث والجزاء، وفي سياق بيان النظام الدقيق للكون.

رابعاً: الآيات الشرعية عند الطاهر بن عاشور هي الأدلة القرآنية التي تتضمن حُكماً أو توجيهاً أو قاعدةً تَهْدِيَّةً، تُبْنَى على المقاصد العامة للشرعة، مثل حفظ الدين والنفس والتَّسْلُ والعقل والمال.

خامساً: إذا فسّر الطاهر بن عاشور لفظ آية بمعنى الحكم الشرعي، فإنّه يستدلُّ فيها على الهداية الكونية ومستوى البناء التشريعي.

سادساً: يشير ابن عاشور من خلال تأويله النص إلى أنّ آيات الدليل الكونيّ تستهدف إيقاظ العقل للنظر، في حين تستهدف آيات المدلول الشرعي تهذيب النفس والسُّلُوك. وهذا التأويل عنده يتأثر بدلالة اللفظ في موضعه من السياق.

سابعاً: يعرض ابن عاشور الآيات الكونية بأسلوبٍ تصويريّ عظيم لإثارة التفكير، في حين يعرض الآيات الشرعية بأسلوبٍ بيانيٍّ معياريٍّ يتّضح من خلاله المراد من الدليل.

ثامناً: يعقد ابن عاشور مقارنة تفسيرية في المواضع التي يجتمع فيها نوعان أو أنواع من لفظ آية داخل السياق القرآني، فيبين كيف يترقّى الخطاب من عرض دلائل الكون إلى تقرير الأحكام؟ وكيف تكون الآية الكونية دليلاً على الحكم الشرعي؟ وهكذا.

تاسعاً: يبرز ابن عاشور اللفظ القرآني الأسبق في السياق الدال على الآية الكونية كتمهيد للآيات التشريعية والعكس صحيح، ما يحقّق انسجاماً بين الهداية العامة والهداية الخاصة في التأويل.

عاشراً: تترتب على هذا التمييز عند ابن عاشور آثار تفسيرية مهمّة، منها: تحديد غاية السورة، وضبط انتقال الخطاب بين مستويات الدلالة، وحسن استنباط الحكم الشرعي والإعجاز الكوني.

أحد عشر: يؤكد ابن عاشور أنَّ لكلِّ نوعٍ من أنواع الألفاظ معنىً خاصاً ودلالةً مخصوصةً، وأنَّ الخلط في تأويل اللفظ يؤدِّي إلى اضطراب المعنى أو إلى تحميل النص ما لا يحتمل.

الأمثلة التطبيقية للمنهج الذي اعتمد عليه ابن عاشور في هذا النوع من التأويل:

أولاً: تفسيره لسياق [فُصِّلَتْ: 40]: يقول الطاهر بن عاشور في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ...﴾: الإلحاد حقيقته: الميل عن الاستقامة، والآيات تشمل الآيات الكونية المتقدمة في قوله: ﴿قُلْ أَنْتُمْ لَكُمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ...﴾ [فُصِّلَتْ: 9]، وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَلِيلٌ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ...﴾ [فُصِّلَتْ: 37]، وتشمل الآيات الشرعية التي قبلها في قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فُصِّلَتْ: 26]، فالإلحاد في الآيات مستعار للعدول والانصراف عن دلالة الآيات الكونية على ما دلت عليه. والإلحاد في الآيات الشرعية مستعار للعدول عن سماعها وللطعن في صحتها وصرف الناس عن سماعها. أ.هـ (24)

ثانياً: تأويله لسياق [البقرة: 39] من قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 39] فما أجمله في تأويل فصلت فصله هنا قائلاً: والآيات جمع آية وهي الشيء الدال على أمر من شأنه أن يخفى، ولذلك قيل لأعلام الطريق آيات؛ لأنهم وضعوها للإرشاد إلى الطرق الخفية في الرمال. وتسمى الحُجَّة آية؛ لأنها تُظهِر الحقَّ الخفي، وتسمى الله الدلائل على وجوده وعلى وحدانيته وعلى إبطال عقيدة الشرك آيات، أي بمعنى كونية، فقال: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الأنعام: 4]... إلى أن قال: وتسمى الله القرآن الكريم آيةً بقوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [العنكبوت: 50]، وتسمى أجزاء آيات فقال: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ [الحج: 72]، وقال: ﴿الْمَرَّةَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: 1]؛ لأنَّ كل سورة من القرآن يعجز البشر عن الإتيان بمثله، وكانت جُمْلُهُ آيات؛ لأن بها بعض المقدار المعجز، ولم تُسمَّ أجزاء الكتب السماوية الأخرى آيات. (25)

ثالثاً: الكليات الخمس: يربط ابن عاشور السياق بذكر هذه الكليات (الدين والنفس والنسل والعقل والمال) ربطاً عجيباً. بقوله: المماثلة في أصول الدين مما يجب لله تعالى من الصفات، وفي أصول الشريعة من كليات التشريع، وأعظمها توحيد الله، ثم ما بعده من الكليات الخمس الضروريات، ثم الحاجيات التي لا يستقيم نظام

البشر بدونها، فإنَّ كل ما اشتملت عليه الأديان المذكورة من هذا النوع قد أودع مثله في دين الإسلام. فالأديان السابقة كانت تأمر بالتوحيد، والإيمان بالبعث والحياة الآخرة، وتقوى الله بامتنال أمره واجتناب منهيهِ على العموم، وبمكارم الأخلاق بحسب المعروف، وتختلف في تفاصيل ذلك وتفاريعه، ودين الإسلام لم يخلُ عن تلك الأصول وإن خالفها في التفاريع تضييقاً وتوسيعاً، وامتازت هذه الشريعة بتعليل الأحكام وسد الذرائع والأمر بالنظر في الأدلة وبرفع الحرج وبالسماحة وبشدة الاتصال بالفطرة. أ.هـ⁽²⁶⁾

المطلب الثالث: منهج ابن عاشور في تمييز مدلولات كلمة آية بتنوع ألفاظها في السياق.

أولاً: يتميز التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور من غيره من التفاسير بمنهج استقرائي، قائم على تتبع اللفظ باختلاف مواضعه القرآنية، وتنوع أنماطه (مفرداً ومثنىً وجمعاً).

ثانياً: لا يفسر ابن عاشور اللفظ تفسيراً منعزلاً، بل يعيده دائماً إلى سياقه الخاص، وإلى السياق العام للسورة، باستخراج الفروق الدقيقة بين تلك المواضع والدلالات.

ثالثاً: يرى ابن عاشور أن فهم اللفظ ونوعه يختلف باختلاف السياق الذي يرد فيه ونوع الخطاب، والمخاطب، ويتأثر معنى اللفظ بمقصد السورة وغرضها.

رابعاً: يعتمد ابن عاشور على التفريق بين ثلاثة أنماط من الدلالة: الدلالة الحسية، والدلالة العقلية، والدلالة الوجدانية. فالآية الكونية عنده تحمل دلالة حسية؛ لأن المتلقي يراها بعينه، وتحمل دلالة عقلية؛ لأنها تحث على النظر والتفكير، وقد تحمل دلالة وجدانية؛ لأنها تُوقظ الشعور بجلال الخالق.

خامساً: يرى ابن عاشور أنَّ اللفظ الواحد قد يؤدي وظائف متعددة داخل السورة، ولذلك فهو يتبع سياق السورة من أولها إلى آخرها؛ ليعرف مراحل تطوُّر الدلالة وتجدد مدلولها.

سادساً: من مظاهر دقة منهج ابن عاشور في تأويل اللفظ، أنه يربط في تفسيره بين الفروق الدلالية والغايات المقاصدية. فحين ترد الآية بمعنى الآلية الكونية، فإنَّ المقصد عنده هو التفكير، وحين ترد بمعنى المعجزة، فالمقصد هو إقامة الحجة، وحين ترد بمعنى الحكم الشرعي فالمقصد هو الإصلاح والتهذيب. وهذا التفريق يساعده على بناء تفسير مقاصدي للفظ ضمن نسق السورة.

سابعاً: يبرز في منهج الطاهر بن عاشور ما يسميه سياق الانتقال، أي كيفية انتقال سياق القرآن الكريم من معنى لآخر، وكيف يخدم هذا الانتقال غرض السورة وتأويل النص .

ثامناً: يرى ابن عاشور أن كلمة آية بأنواعها هي المحكُّ الرئيس الذي يكشف هذا الانتقال بوضوح؛ لأنه يظهر في سياقات متنوعة من خلال الربط بين العقل والشرع والكون والواقع.

المثال التطبيقي للتنوع اللفظي لمدلول كلمة آية:

أولاً: في مناط الدليل: يقول ابن عاشور⁽²⁷⁾: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧]. وتحت هذا التعجيب معان أخرى:

أحدها: أن آيات صدق النبي ﷺ واضحة لولا أنَّ عقولهم لم تدركها لفساد إدراكهم. ويشير هنا إلى الآية الشرعية.

الثاني: أن الآيات الواضحة الحسية قد جاءت لأُمم أخرى فأروها ولم يؤمنوا بها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخَوِيفًا﴾ [الإسراء: 59].

الثالث: أن لعدم إيمانهم أسباباً خفية يعلمها الله قد أبهمت بالتعليق على المشيئة، وقد أُلقيت إليهم الأدلة القاطعة فأعرضوا عنها. والإنابة: حقيقتها الرجوع. وأطلقت هنا على الاعتراف بالحق عند ظهور دلائله لأن النفس تنفر من الحق ابتداء ثم ترجع إليه، فالإنابة هنا ضد النفور.

ثانياً: في مقاصد السور: يضرب الطاهر بن عاشور المثال على إعادة التأويل إلى سياقه الخاص وإلى السياق العام للسورة بقوله. ففي أغراض [سورة الدخان (44)] افتتاح هذه السورة أشبه بفتحة سورة الزخرف من التنويه بشأن القرآن وشرفه وشرف وقت ابتداء نزوله؛ ليكون ذلك مؤذناً أنه من عند الله، ودالاً على رسالة محمد ﷺ، وليتخلص منه، إلى أن المعرضين عن تدبر القرآن ألهام الاستهزاء واللمز عن التدبر فحق عليهم دعاء الرسول بعذاب الجوع، إيقاظاً لبصائرهم بالأدلة الحسية حين لم تنجح فيهم الدلائل العقلية، ليعلموا أن إجابة الله دعاء رسوله ﷺ دليل على أنه أرسله ليلعب عنه مراده. فأنذرهم بعذاب يحلُّ بهم زيادةً على ما دعا به الرسول ﷺ تأييداً من الله له بما هو زائد على مطلبه. ﷺ وإذ كان إنكار البعث وإحالة من أكبر الأسباب التي أغرقتهم على إهمال التدبر في مراد الله تعالى انتقل الكلام إلى إثباته والتعريف بما يعقبه من عقوبة المعاندين ومثوبة المؤمنين ترهيباً وترغيباً. وأدمج فيها فضل الليلة التي أنزل فيها القرآن، أي ابتدئ إنزاله وهي ليلة القدر. وأدمج في خلال ذلك ما جرت إليه المناسبات من دلائل الوحدانية، وتأييد الله من آمنوا بالرسول، ومن إثبات البعث.

وختمت بالشد على قلب الرسول ﷺ بانتظار النصر وانتظار الكافرين القهر. قال الغزالي⁽²⁸⁾: والغلو في الرتبة العقلية مثل العلو في التدرجات الحسية، ومثال الدرجة العقلية، كالتفاوت بين السبب والمسبب والعلو والمعلول والفاعل والقابل والكامل والناقص. ا.هـ.⁽²⁹⁾

ثالثاً: أسلوب الانتقال: يقول ابن عاشور في تحقيق هذا المنهج: "نرى من أفانين الكلام الالتفات وهو نقل الكلام من أحد طرق التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى طريق آخر منها، وهو بمجرد معدود من الفصاحة، وسماه ابن جني شجاعة العربية؛ لأن ذلك التغيير يجدد نشاط السامع، فإذا انضم إليه اعتبار لطيف يناسب الانتقال إلى ما انتقل إليه صار من أفانين البلاغة، وكان معدوداً عند بلغاء العرب من النفائس، وقد جاء منه في القرآن ما لا يُحصى كثرة مع دقة المناسبة في الانتقال. ويقول: إن نظم القرآن مبني على وفرة الإفادة، وتعدد الدلالة، فجمل القرآن لها دلالتها الوضعية التركيبية التي يشاركها فيها الكلام العربي كله، ولها دلالتها البلاغية التي يشاركها في مجملها كلام البلغاء، ولا يصل شيء من كلامهم إلى مبلغ بلاغتها. ولها دلالتها المطوية وهي دلالة ما يذكر على ما يقدر اعتماداً على القرينة، وهذه الدلالة قليلة في كلام البلغاء وكثرت في القرآن، مثل: تقدير القول، وتقدير الموصوف، وتقدير الصفة. ولها دلالة مواقع جملة بحسب ما قبلها وما بعدها، ككون الجملة في موقع العلة لكلام قبلها، أو في موقع الاستدراك، أو في موقع جواب سؤال، أو في موقع تعريض أو نحوه. وهذه الدلالة لا تتأني في كلام العرب لقصر أغراضه في قصائدهم وخطبهم بخلاف القرآن، فإنه لما كان من قبيل التذكير والتلاوة سمحت أغراضه بالإطالة، وبذلك الإطالة تأتي تعدد مواقع الجمل والأغراض".⁽³⁰⁾

رابعاً: التقديم والتأخير. ضرب الطاهر بن عاشور أمثلة لهذا النوع من الفن بقوله: إن في وضع الجمل وأجزائها في القرآن دقائق عجيبة كثيرة لا يُحاط بها. ومما يجب التنبيه له أن مراعاة المقام في أن ينظم الكلام على خصوصيات بلاغية هي مراعاة من مقومات بلاغة الكلام، وخاصة في إعجاز القرآن، فقد تشتمل آية من القرآن على خصوصيات تتساءل نفس المفسر عن دواعيها وما يقتضيها، فيتصدى لتطلب مقتضياتها، ربما جاء بها متكلفة أو مغصوبة؛ ذلك لأنه لم يلتفت اتساق الحروف واتساق الآيات واتساق السور كله عن رسول الله ﷺ، فلماذا كان الأصل في أي القرآن الكريم أن يكون بين الآية ولا حقتها تناسب في الغرض أو في الانتقال منه أو نحو ذلك من أساليب الكلام المنتظم المتصل بعضه بعضه.⁽³¹⁾

خامساً: تكرار لفظ آية في السياق الواحد: ففي قوله: ﴿وَجَعَلْنَا آيَاتٍ لِلنَّهَارِ آيَاتٍ فَحَوَّاهُ بِآيَاتٍ إِلِيلٍ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ

تَفْصِيلاً ﴿[الإسراء: ١٢]﴾، يقول ابن عاشور: وإضافة آية إلى الليل وإلى النهار يجوز أن تكون بيانية، أي الآية التي هي الليل، والآية التي هي النهار. ويجوز أن تكون آية الليل الملازمة له وهي القمر، وآية النهار الشمس، فتكون إعادة لفظ (آية) فيهما تنبيهاً على أن المراد بالآية معنى آخر، وتكون الإضافة حقيقية، ويصير دليلاً آخر على بديع صنع الله تعالى، وتذكيراً بنعمة تكوين هذين الخلقين العظيمين. وهذا أدق معنى وأعمق في إعجاز القرآن الكريم بلاغةً وعلمًا، فإنَّ هذه حقيقة من علم الهيئة، وما أعيد لفظ (آية) إلا لأجلها... إلى أن قال: أي جعلنا الظلمة آيةً وجعلنا سبب الإبصار آيةً. وذكرت حكمة أخرى حاصلة من كلتا الآيتين وهي حكمة حساب السنين، وهي في آية الليل أظهر؛ لأنَّ جمهور البشر يضبط الشهور والسنين بالليالي، أي حساب القمر، فعطفه على عدد السنين من عطف العام على الخاص؛ للتعميم بعد ذكر الخاص اهتماماً به. (32)

سادساً: التنوع اللفظي لمدلول كلمة آية: هذا المثال من أعمق التطبيقات في المبحث وحسن وروده ختاماً ليتضح فيه منهج الطاهر بن عاشور في التفريق بين أنواع لفظ آية المفرد والمثنى والجمع في الدلالة: فقد عقد رحمه الله مقارنة بين آية [الإسراء: 12] وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٦]، قائلاً: وفي ذلك أيضاً دلالة على تعاقب الموت والحياة، فتلك آيات، وفي كل آية منها دقائق ونظم عظيمة لو بسط القول فيها لأوعب مجلدات من العلوم. وفي جعل النهار مبصراً آيات كثيرة على الوحدانية ودقة صنع تقابل ما تقدم في آيات جعل الليل سكناً. وفي جليل تلك الآيات ودقيقها عدة آيات، فهذا وجه جعل ذلك آيات ولم يجعل آيتين ولا آية. ولهذا خولف بين ما هنا وبين ما في [يونس: 67] (33)؛ لأن يونس مسوقة مساق الاستدلال والامتنان فخطب بها جميع الناس من مؤمن وكافر، فجاءت بصيغة الخطاب، وجعلت دلائلها لكل من يسمع أدلة القرآن، فمنهم مهتد وضال. وأما هذه الآية فمسوقة مساق التعجيب والتوبيخ، فجعل ما فيها آيات لمن الإيمان من شأنهم ليفيد بمفهومه أنه لا تحصل منه دلالة لمن ليس من شأنهم الإنصاف والاعتراف، ولذلك أوتر فيه فعل يؤمنون على يسمعون. وبهذا قال في «الكشاف»: «التقابل مُرَاعَى من حيث المعنى، وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف»، واعلم أن ما قُدر هنا يأتي في آية سورة يونس عدا ما هو من وجوه الفروق البلاغية. فارجع إليها هنالك. أ. هـ (34).

وعند الرجوع وجدنا ما معناه: والآيات: الدلائل الدالة على وحدانية الله تعالى بالإلهية، فإنَّ النظام الذي نشأ

عنه الليل والنهار مشتملٌ على دقائق كثيرة من العلم والحكمة والقدرة وإتقان الصنع. وترتيب الأدلة جعل آيات دلالتها حاصلة للذين يسمعون ففرقٌ هنا بين مدلول مفرد آية ومثنى آيتين وجمع آيات...⁽³⁵⁾، وكل هذا يؤيد ما أوردناه في منهجه من دقة التعليل واستنباط الدليل من عيون الأقاويل ليكتمل مبنى ومعنى محظ دراستنا التحرير والتنوير.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

- 1- يعد الإمام محمد الطاهر بن عاشور علمًا من أعلام العرب والمسلمين، وبحرًا في شتى العلوم بما قدّمه من جهد كبير وطريقة مثلى في مؤلفه في التفسير الذي لا يستغني طالب العلم عنه في شتى العلوم.
- 2- سعة علمه الغزير بما مكّنه من بلوغ هذه المرتبة في الربط بين التفسير بالرواية الصحيحة من منبعها الصافي بأمانة علمية في النقل والتفسير بالدراية بروح خلاصة وغزارة علم جم.
- 3- يعد التحرير والتنوير من أجَلِّ التفاسير؛ لما احتواه من بيان وجوه الإعجاز، ونكت البلاغة العربية، وأساليب الاستعمال، وإيضاح معاني المفردات في اللغة والواقع والكون كله.
- 4- استخدم الطاهر بن عاشور منهجًا رائدًا في تأويل كلمة آية من خلال استعراض السورة، ثم تفسير الآية، ثم تأويل اللفظ ثم بالربط بينها كأنها عقد واحد لا يفصل بينهما، وإنما فصلت.
- 5- مثّلت كلمة آية بمصادفاتها الثلاثة عنده وحدةً موضوعيّةً متكاملة، يستخدم في تفسيرها ما يناسبها من وسائل وطرق الاستنباط، وكذا تعدد المصادر وتنوعها بعيدًا عن روح التقليد أو التأويل الجامد.
- 6- يقوم منهج الطاهر بن عاشور في تفسيره على التمييز العلمي الواضح بين الآيات الشرعية والآيات الكونية كضرورة استقرائية لحسن فهم بنية النص القرآني من خلال مدلولات الألفاظ.
- 7- يؤصّل الطاهر بن عاشور مدلول كلمة آية في سياق الآيات الشرعية والكونية تأصيلًا علميًا دقيقًا، في غرضه، مشتملاً على بيان دقائق وجوه البلاغة والإعجاز كلها بأسلوب عجيب.
- 8- يعرض ابن عاشور الآيات الكونية بأسلوب تصويري عظيم لإثارة التفكير، في حين يعرض الآيات الشرعية بأسلوب بياني معياري يتضح من خلاله المراد من الدليل القرآني المتمثل في كلمة آية.
- 9- رُدّه على بعض المفسرين في تأويل اللفظ وبيان مدلولاته، مع استطراد الأدلة في الترجيح مع عدم موافقته الصواب في تخطئة بعضهم، مستعرضًا موضع القوة عنده مع أن الكمال لله وحده.

ثانيًا- التوصيات:

- 1- وجوب العناية بدراسة مناهج المفسرين، واستقراء طرق الاستنباط عندهم، وتوجيه الدارسين للاهتمام بها، والتميز بينها من مفسر لآخر؛ كي تستفيد الأمة من هذا العلم.
- 2- اهتمام الباحثين بالألفاظ القرآنية ودراساتها بعناية وإخراجها غضةً طريةً كبعض العلوم.
- 3- إنشاء مشروع علمي لجمع الألفاظ التي فسرها ابن عاشور وغيره من المفسرين والعناية بالدراسات اللفظية في الجامعات على ضوء تلك المناهج.

الهوامش:

- (1)- لم أقف على ترجمة له.
- (2)- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (ص: 3- 5) من مقدمة معد الكتاب للشاملة: بتصرف.
- (3)- الإمام محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره التحرير والتنوير رسالة ماجستير للباحث محمد بن سعد بن عبد الله القرني (ص: 22- 24).
- (4)- منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير لنبيل أحمد صقر (ص: 9- 12) وأنظر مجلة الجامعة الإسلامية المجلد التاسع عشر، العدد الثاني، ص 545 - ص 573 يونيو 2011م بتصرف.
- (5)- المدخل لتفسير التحرير والتنوير للحمد (ص: 4) وأنظر آليات الاستنباط لأربع عطاسي (ص: 48).
- (6)- التحرير والتنوير (1/ 5) وأنظر منهج الطاهر بن عاشور لنبيل أحمد صقر (ص: 12) وآليات الاستنباط لعطاسي (ص: 49).
- (7)- منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير للحمد (ص: 43- 53).
- (8)- منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير لنبيل أحمد صقر (ص: 235- 312) بتصرف شديد. وانظر آليات الاستنباط لأربع عطاسي (ص: 53).
- (9)- التحرير والتنوير (30/ 636- 637) بتصرف.
- (10)- منهج الطاهر بن عاشور لنبيل أحمد صقر (ص: 14) بتصرف.
- (11)- لسان العرب لابن منظور (14/ 56).
- (12)- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور (1/ 74).
- (13)- المناسبات بين الآيات والصور وفوائدها د. سامي عطا حسن (4/ 1).
- (14)- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (1/ 59).
- (15)- مجموع فتاوى ورسائل لمحمد بن صالح العثيمين (6/ 42).
- (16)- تفسير مقاتل بن سليمان (1/ 283).
- (17)- أضواء البيان للشنقيطي (ت: 1393هـ) وانظر محاسن التأويل للقاسمي، (8/ 70).
- (18)- تفسير الطبري (18/ 412).
- (19)- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة (5/ 182).
- (20)- التحرير والتنوير (7/ 210- 217).
- (21)- لم أقف عليه في المراجع الخاصة.
- (22)- حكاة (ص: 854- 856). بقوله: (كتاب في التحذير من أمور اشتهرت بين المعربين والصواب خلافها وهي كثيرة والذي يحضرنى الآن منها عشرون موضعا ... وذكرها) وانظر التحرير والتنوير (7/ 210- 217).

- (23)- ورد في معني اللبيب (ص: 854) ما نصه: (في التحذير من أمور اشتهرت بين المعربين والصواب خلافها: وهي كثيرة والذي يحضرني الآن منها عشرون موضعاً)، وبيان ذلك حكى (ص: 861): الرابع عشر: قولهم إن النكرة إذا أعيدت نكرة كانت غير الأولى وإذا أعيدت معرفة أو أعيدت المعرفة معرفة أو نكرة كان الثاني عين الأول... وأنظر التحرير والتنوير (7/ 211- 212) .
- (24)- التحرير والتنوير (24/ 304) بتصرف.
- (25)- التحرير والتنوير (1/ 445).
- (26)- التحرير والتنوير (25/ 50).
- (27)- التحرير والتنوير (13/ 136).
- (28)- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى لابي حامد الغزالي (ص: 107).
- (29)- التحرير والتنوير (25/ 276-30/ 275) بتصرف.
- (30)- التحرير والتنوير (1/ 109-110).
- (31)- التحرير والتنوير (1/ 79-110-111) بتصرف شديد.
- (32)- التحرير والتنوير (15/ 44-45).
- (33)- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (١٧).
- (34)- تفسير الزمخشري (4/ 444) و أنظر التحرير والتنوير (20/ 44) (20/ 45).
- (35)- التحرير والتنوير (11/ 227-228).

المصادر والمراجع:

- أولاً: القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.
- ثانياً: التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ) الدار التونسية للنشر تونس، 1984هـ.
- (1) آليات الاستنباط عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير، رسالة ماجستير لرابح عطاسي الجامعة الجزائرية (1432هـ - 2011م).
- (2) الإتيقان في علوم القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ/ 1974م
- (3) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لابي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ) : دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- (4) أضواء البيان لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي (ت: 1393هـ)، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة بيروت، عام 1415هـ - 1995م
- (5) الإمام محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره التحرير والتنوير، رسالة ماجستير للباحث محمد بن سعد بن عبد الله القرني اشراف محمد ولد سيدي (1427هـ).

- (6) البحر المديد لأحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، دار الكتب العلمية بيروت، ط/2، 1423هـ - 2002م
- (7) تفسير مقاتل بن سليمان لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: 150هـ) المحقق: عبد الله محمود شحاته : دار إحياء التراث - بيروت الطبعة: الأولى - 1423 هـ
- (8) توجيه الطاهر بن عاشور للمتشابه اللفظي دراسة تحليلية مقارنة رسالة دكتوراه، لخلدون سعود القرالة، من الجامعة الأردنية كانون الأول 2014م.
- (9) جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م
- (10) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م.
- (11) زاد المسير في علم التفسير لعبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط/1، 1404هـ
- (12) الفائق في غريب الحديث لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - لبنان الطبعة: الثانية
- (13) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت
- (14) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت: 711هـ) دار صادر - بيروت، ط/3، 1414هـ
- (15) مباحث في علوم القرآن، لصباحي الصالح، دار العلم للملايين، ط/24، كانون الثاني/ يناير 2000م
- (16) مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) المجلد التاسع عشر، العدد الثاني، ص 545 - ص 573 يونيو 2011م.
- (17) مجموع فتاوى ورسائل لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: 1421هـ)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن، دار الثريا، الطبعة: الأخيرة، 1413هـ
- (18) محاسن التأويل لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/1، 1418هـ (70/8).
- (19) المدخل لتفسير التحرير والتنوير للحمد ييحث ويكمل من رسالة
- (20) المدخل لدراسة القرآن الكريم، لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت: 1403هـ)، مكتبة السنة - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1423 هـ - 2003 م
- (21) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لعبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت: 761هـ) المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله: دار الفكر - دمشق ط: السادسة، 1985 مغني اللبيب عن كتب الأعاريب.

- (22) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: 505هـ) المحقق: بسام عبد الوهاب الجابري: الجفان والجابري - قبرص ط: الأولى، 1407 - 1987
- (23) المناسبات بين الآيات والسور وفوائدها، د.سامي عطا حسن، جامعة آل البيت
- (24) منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير، لنبيل أحمد صقر، الدار المصرية - القاهرة، ط: الأولى، 1422 هـ - 2001 م.
- (25) منهج الإمام محمد الطاهر بن عاشور في القراءات في تفسيره التحرير والتنوير، رسالة ماجستير لبسام رضوان عليان، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد (12 - يونيو 2011م).